Coptology

هل جسد الرب

– في سر الشكر – محدودٌ؟

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٨

www.coptology.org

سؤالٌ من الأخ م. ع. طلب عدم نشر اسمه حتى لا يُمنع من الخدمة، كما قال.

أي سؤال عن جسد الرب يجب أن يضع في الاعتبار أن الإجابة عليه يجب أن تكون عن الرب المتجسد. وتعبير "الحضور المتجسد" الذي ورد عند القديس أثناسيوس (تجسد الكلمة فصل ٨ وفي الرد على الأريوسيين ١: ٥٩ — ٢: ٥٥ — ٢: ٦٦) يعني أن هذا الحضور هو حضور إلهي إنساني. والاهتمام بالجانب الإلهي لا يجب أن يلغي الحضور الإنساني الممجَّد؛ لأن مجد الألوهة أشرق على جبل التجلي دون أن يُلغي إنسانية الرب التي أخذها من جنسنا (عب ٢: ١٤-١٥)، حيث أباد الرب الموت من الناسوت، فصار الناسوت حياً، بل وواهب الحياة، في حين أن الناسوت وحده لا يُعطي الحياة حسب قول الرب نفسه: "الروح هو الذي يحيي أما الجسد فلا يفيد شيئاً" (يوحنا ٦: ٦٣).

ماهية الجسد الإنساني:

الجسد الإنساني ليس مجموعة أعضاء، ولا هو بضعة وظائف بيولوجية فقط، بل له وجوده العقلي أو الروحي الذي تراه في إبداعات الإنسان في حقول الفن والموسيقى والفلسفة والعلوم بكل ما فيها من فروع يعرفها كل قارئ. لذلك، فبعد أن يرحل مفكر كبير أو كاتب تظل أفكاره وإبداعاته تُنقل من جيل الى جيل. نحن لا زلنا نذكر أرسطو وغيره من عظماء اليونان، بل لدينا سيرة وكتابات القديس أثناسيوس كمثال واضح عن التأثير الذي تركه في حياة وفكر الكنيسة الجامعة. فالجسد إذن لا يُقاس بالأبعاد الظاهرة: الوزن والطول .... الخ. فهذه رغم أنها تحدد ملامح الإنسان البيولوجي، إلا أنها لا تحدد عمل الإنسان ككل؛ لأن الملوك والرؤساء في حكومات العالم، ليسوا مجرد أوزان وأحجام،

بل هم أكثر من يؤثر في حياة الدولة والمجتمع الذي يحكمونه.

جسد الرب هو جسد مجده (فيلبي ٣: ٢١):

عندما نقل إلينا المعارضون لسر الشكر مقاييس الإنسان البيولوجية مثل حضور الرب ذاته في العلية مع التلاميذ، وتساءلوا كيف يعطي جسده وهو جالس بينهم، بل وبيديه (مع ملاحظة أن ما تم في العلية تذكره كل القداسات)، فقد حصروا أنفسهم في الإشكالية الفكرية عن المحدود وغير المحدود، والمطلق والنسبي، وهي إشكالية بعيدة تماماً عن اللاهوت الأرثوذكسي؛ لأن حتى هذه المصطلحات: المحدود، عكس غير المحدود، والمطلق غير النسبي، لا تُناقَش حتى فلسفياً؛ لأن المقارنات يجب أن تكون بين المتشابهات، وإلا لماذا المقارنة من الأصل، وهو ما ذكره أرسطو في المجلد الكبير (الطبيعة وما بعد الطبيعة ك ٣: ١٨)، وحسب عبارته المشهورة: "الأشياء المتشابهة تقارَن لأننا نستطيع أن نقارن إنسان بإنسان، ولا يمكن مقارنة الإنسان بالحصان. بل حتى في الاستعارة، فحين تقارن إنساناً يجري بسرعة مثل سرعة الحصان، تكون المقارنة بين سرعة وسرعة، وليس بين الإنسان والحصان. أما المطلق والنسبي، فهي إشكالية لا وجود لها في الأسفار أو عند الآباء؛ لأن حتى قول أحدهم بأن اشتراكنا في قداسة الله هو اشتراكٌ نسبي، فهو قولٌ تعدَّى كل أساسات الإيمان، لا يعرف قائله أن هذا ضد تجسد الله الكلمة؛ لأن المسيح ربنا قدَّس الناسوت، وهو "واحد من طبيعتين"، لاهوت مساوي للآب وناسوت مساوي لنا حسب التدبير، حسبما نقول في صلواتنا القبطية الأرثوذكسية. ولم تكن في المسيح الواحد قداسة مطلقة وأخرى نسبية؛ لأن **شركتنا في الله لا تُقاس** بما هو معروف في عالمنا المادي.

وكما ذكرت سابقاً عن أعمال الشخص التي تدوم بعد موته، وهي ما تركه لنا من أفكار وجمال في الفن أو الموسيقى، إلا أن ذلك لا يعني مقارنة هذه الأعمال بالتجسد أو الحضور الإلهي، لأن أعمال الرب المتجسد هي:

- إبادة الموت
- هبة القيامة
- هبة المجد
- هبة الحياة الأبدية
- ميراث الملكوت

وكل هذه هي أعمال الجسد الممجَّد الغير القابل للإنقسام أو للإنفصال عن اللاهوت، وهي أيضاً استعلانات المحبة.

أما الشق الثاني من سؤالك: كيف يكون جسد الرب على مذبح مار مينا في الإسكندرية، ومذبح الملاك ميخائيل في أسوان في ذات الوقت؟ فهو سؤالٌ يجب مراجعته جيداً على التدبير؛ لأن الأيقونة الخاصة بالتجسد هي الكنيسة: "الكائنة من أقاصي المسكونة إلى أقاصيها"، هي جسدٌ واحد رغم وجوده في بلاد الدنيا، هي أعضاءٌ متحدة بالرأس ربنا يسوع. وهو الحياة التي أشرقت لنا في عالم الموتى كما كتب أفرام شاعر السريان وشاعر الكنيسة الجامعة.

ما هو الجانب المستعلن لحياة الرب؟

+ الجانب السمائي، وهو ما نسمعه في القداسات عن "الكائن في كل زمان"، والذي أتى إلينا متجسداً في الزمان، دون أن يكون للزمان سلطانٌ أو قدرة تفصله عن جسده، أي إنسانيته، والكنيسة؛ لأنهما جسدٌ واحد، ويستطيع أي جاهل أن يحشد عشرات الاعتراضات على الجسد الواحد: الرب والكنيسة، ولكن هل يمكن أن تصمد هذه الاعتراضات أمام: "هذا هو الخبز الذي نزل من السماء ليس كما أكل آباؤكم المن وماتوا من يأكل هذا الخبز يحيا إلى الأبد" (يوحنا ٦: ٥٨)؟ وسبق الرب وقدم لنا وجه

المقارنة قبل الكلام عن الخبز النازل من السماء: "كما أرسلني الآب الحي وأنا حي بالآب فمن يأكلني يحيا بي" (يو ٦: ٥٧). البُعد الحقيقي هنا هو الحياة، وهي حياة إلى الأبد، وهي ليست حياة مخلوقة كما ادعى نيافة العلامة مطران دمياط؛ لأن التشابه هو في حياة الآب الحي، والابن الحي بالآب، والتي لها هدف ظاهر، وهو: "مَن يأكلني يحيا بي"، أي انسكاب الحياة الأبدية في الحياة الجديدة السمائية، مما جعل القداس يؤكد أن ذبيحة الرب هي "غير مائتة إلهية سمائية"، **وفي السماء لا توجد مسافات تفصل، بل توجد عطايا تميز**؛ لأننا حتى على المستوى المادي المحسوس، ما يفصل بيننا ليس هو المسافة وحدها؛ لأن المسافة تصبح أداة التمييز بين إنسانٍ وآخر، ولذلك أداة التمييز بين الرب المتجسد والحياة الإنسانية عندنا ليست هي المسافة، بل **الاستعلان –إذا جاز القول– عن وظائف الجسد الممجد**، وهو أنه "يجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد" (يوحنا ١١: ٥٢)، وأيضاً: "وأنا (الشخص) متى ارتفعت عن الأرض (لم يصبح لديه فاصل بين الإسكندرية وأسوان) أجذب إليَّ الجميع (يوحنا ١٢: ٣٢). يسوع لا يُفرِّق، بل يجمع، وهو الرأس، ونحن الأعضاء التي تشترك في حياة واحدة.

- ما هو وزن الحياة؟

- ما هو طول وعرض الحياة؟

- ما هو لون الحياة؟

وهل يمكن الإجابة على هذه الأسئلة بالبُعد المحسوس فقط؟

ويبقى الجانب الأخير من السؤال عن المحدود وغير المحدود .. غير المحدود هو سلب Negation لما هو محدود. والله لا يوصف بأنه غير محدود، بل بأنه "مالئ الكل" والملء ليس كمَّاً، ولا هو ملء مادي، بل هو كمال الله. وإذا وضعنا جسد الرب وحاصرناه بالأفكار بين ما هو محسوس من طول وعرض .. الخ أي المحدود حسب الظاهر، وما هو غير كائن أصلاً، أي ما سُلب من المحدود، فإن خداع اللفظ يجب أن

يتوقف؛ لأننا يجب أن نعود للحياة:

+ الغالبة الموت والجحيم.

+ الواهبة الحياة للغير.

+ التي لا تُقاس بما هو محسوس، بل بصلاح الله ومحبته للبشر.

ما هي المسافة التي تفصل الرأس عن القدمين؟

هذه طبعاً يمكن أن تُقاس، كما أن أبعاد الجسد تقاس عند تفصيل الملابس. ولكن ما هي المسافة التي تفصل بين الرأس يسوع ربنا وأعضاء جسده؟ عندما كتب رسول الرب: "أما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً" (١كو ١٢: ٢٧)، فهل أصبح العضو "جزءاً" من الجسد؟ تهكم أحد الجهلاء وسأل: مَن هو أُذن المسيح وأنفه؟ التهكم على الكنيسة جسد المسيح يكشف عن مرض خطير، وهو أن هوية الكنيسة قد ضاعت؛ لأن الرسول يقول: "كما أن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هي جسد واحد" (١كو ١٢: ١٢)، وأضاف: "كذلك المسيح أيضاً". إذن، فلا مسافة بين الرأس والأعضاء، لأن هذا إذا كان يخص الجانب البيولوجي، إلا أن الذي يجمع المؤمنين معاً هو ما ذكره الرسول: "لأننا جميعاً بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد". العضو ليس "جزءاً"، بل هو في الجسد لأنه نال الحياة بالروح الواحد الذي يجمع أعضاء الجسد "الأفراد". والفرد هو عضوٌ يتمايز بما وُهِب له من مواهب وعطايا وضعها الروح القدس الواحد من أجل تنوع الأعضاء في الجسد الواحد حسبما ذكر الرسول بولس: "الأعضاء كثيرة ولكن الجسد واحد" (١كو ١٢: ٢٠)، ولذلك شرح الرسول نفسه وظيفة الأعضاء: "فوضع الله أُناساً في الكنيسة أولاً رسلاً ثانياً أنبياء ثالثاً معلمين ثم قوات وبعد ذلك مواهب شفاء أعواناً تدابير .." (١كو ١٢: ٢٨-٢٩). هوية الكنيسة إذن هي "جسد المسيح"، والسخرية من التعليم الرسولي بأن الكنيسة تسجد لنفسها عندما نقول: "نسجد لجسدك المقدس"، تتجاهل خضوع الأعضاء للرأس،

بل انعدم خطاب خضـــوع الرأس للأعضـــاء، وهو خضـــوع المحبة، حينما يغســـل الرب جسده: "لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء مثل ذلك بل تكون مقدســـة وبلا عيب" (أفســـس ٥: ٢٦). ولاحظ أن وصـــف "بلا عيب" هو وصـــف الحمل ابن الله، وهو ذات الوصـــف الذي يحدد حضـــور الرب معنا في العشـــاء السري: "يديه اللتين بلا عيبٍ ولا دنسٍ، الطوباويتين المحييتين".

لعلي أكون قد نجحت في الإجابة على سؤالك، ولعل غير المحدود، وهو وصـفٌ ســـلبي في الفكر وحده، أي لا وجود له إلا كفكرة في عقل الإنســـان، يجعلنا ندخل من باب الحياة، يسوع المسيح نفسه الذي له المجد والكرامة مع الآب بالروح القدس.

د. جورج حبيب بباوي